المحاضرة الأولى: مدخل لدراسة الفكر الاقتصادي

تتداخل بعض المفاهيم فيما بينها مما يجعل من دراسة مادة تاريخ الفكر الاقتصادي تحتاج إلى توضيح علاقتها ببعض المفاهيم الأخرى للطلبة وذلك لتسهيل استيعابها ومعرفة مدى ارتباطها بمفردات اقتصادية تبدو قريبة منها بل و أحيانا تتطابق معها في المضمون.

أولا: نشأة تاريخ الفكر الاقتصادي

يعد الفكر الاقتصادي قديما قدم الإنسان، وغالبا ما كان يتم في إطار تتداخل فيه الاعتبارات الفلسفية و الدينية و السياسية إلى جانب المسائل الاقتصادية، و لم يستطع الإنسان فصل البحث في الاقتصاد عن غيره من فروع المعرفة إ لا عندما ظهر الاقتصاد كعلم مستقل و متميز في القرن 18م، حيث ظهرت مؤلفات ولكن كانت قليلة و يبقى أهمها مؤلف آدم سميت (ثروة الأمم) التي استعرض فيه تاريخ النظم الاقتصادية السابقة و على رأسها الماركنتيلية و الفيزيوقراطية، حيث كان الهدف من هذه الدراسة نقدي و ليس تاريخي، و خلال القرن التاسع عشر اهتم أصحاب المنهج التاريخي بتاريخ الفكر الاقتصادي و ذلك من أجل إثبات صحة المنهج التاريخي من جهة و كذا نقد النظام الرأسمالي من جهة أخرى ، ومنذ أواخر القرن 20م أصبحت مادة تاريخ الفكر الاقتصادي مادة مستقلة وضرورية للمعرفة الاقتصادية وذلك من أجل استعراض نشأة بعض المفاهيم و النظريات الاقتصادية.

و يعتبر الفكر الاقتصادي في صورته الحديثة هو بيان فكري متكامل، تقوم أهميته على المعرفة السابقة عبر مراحل تاريخية بدءا من التجاريين والطبيعيين مرورا بالمدارس الكلاسيكية والنيوكلاسيكية ثم الكينزية ثم الفكر الاقتصادي الحديث، و قبل كل هذا بعض الأفكار الاقتصادية التي سبقت كل هذه المدارس خلال العصور القديمة والوسطى وهنا لا بد من الإشارة إلى أن أغلب الذين أرخوا للأفكار الاقتصادية هم الأوروبيون، وبالتالي فهو يحمل البصمة والرؤية والتفسير الأوروبي لأحداث التاريخ الاقتصادية، مع أنه يمثل فروع المعرفة الاقتصادية و بالتالي فهو يمثل تاريخ الفكر الاقتصادي للإنسان الأوروبي دون سواه، ولا يمثل أي مساهمات للأمم الأخرى غير الأوروبية، و على هذا الأساس قسم الأوروبيون تاريخ الفكر الاقتصادي و مدارسه إلى المراحل التالية:

- الحضارة اليونانية (300ق.م)

-الإمبراطورية الرومانية (500ق.م

- العصور الوسطى (500-1500م).

- الرأسمالية التجارية (1500م-1800م)

-المدرسة الكلاسيكية (776-1820م).

- المدرسة الاشتراكية (1820-1880م).

- المدرسة النيوكلاسيكية (1880-1929م).

- المدرسة الكينزية (1929م- ما بعد الحرب العالمية الثانية).

- اقتصاديات ما بعد الحرب العالمية الثانية.

ومن خلال النقاط السابقة يمكن القول أن أهمية دراسة تاريخ الفكر الاقتصادي كبيرة تتجسد في فوائد تعليمية بالنسبة للطلبة و الأساتذة و الدارسين من خلال فهم النظريات العلمية الحالية و التي ترتبط بتسلسل تاريخي بالنسبة لأفكار اقتصادية سابقة، كما أن هذا الاستيعاب للنظريات الحالية يؤدي إلى مزيد من البحث والتطوير العلمي، واستلهام المزيد من الأفكار والنظريات الملائمة للظروف الاقتصادية السائدة. من خلال تتبع الأفكار السابقة لعلماء سابقين عاشوا ظروف معينة ومحاولة استقراء الظروف والأسباب في محاولة لإيجاد حلول لمشاكل اقتصادية مختلفة.

ثانيا: أهمية دراسة تاريخ الفكر الاقتصادي

يمكن إجمال أهمية دراسة تاريخ الفكر الاقتصادي من خلال النقاط التالية:

- المعرفة التاريخية بشكل عام و المعرفة التاريخية الاقتصادية بشكل خاص يمكننا من فهم تطورات السلوك الاقتصادي، وذلك لتوق فها على الظروف الزمانية والمكانية ، وكذا التأكيد على الطبيعة الاجتماعية للاقتصاد وارتباطه بالعلوم الأخرى.

- التأكيد على استمرارية و وحدة الفكر الاقتصادي منذ العصور الوسطى، والذي يؤدي إلى البناء على أسس الفكر السياسي وتجنب الأخطاء التاريخية للتعلم عن طريق دراسة المنهجية الاقتصادية في تحديد المفاهيم الأساسية.

– إن دراسة مادة تاريخ الفكر الاقتصادي تؤكد الطابع العلمي لعلم الاقتصاد و مساهمته في تيار الفكر وارتباطه بتاريخ النظم الاقتصادية العلمية، واستيعاب الجدل القائم في النظريات المعاصرة، واستكمال أدواته التحليلية.

–دراسة الفكر الاقتصادي تعطي الأساس النظري و التجريبي لدراسة المشكلة الاقتصادية وكيف أدى ذلك إلى ظهور مختلف النظم الاقتصادية و ذلك باختلاف تفسير و تحليل المشكلة الاقتصادية

– إن دراسة تاريخ الفكر الاقتصادي تهيئ لدراسة النظرية الاقتصادية المعاصرة، انطلاقا من فهم الأفكار الاقتصادية السابقة، وذلك عبر سلاسل زمنية، لأن أي تقويم علمي لأي نظرية قائمة والتمكن من إجراء الاختبار العلمي لها سوف لن يكون ممكنا إلا بعد دراسة أصولها العلمية و ظروف نشأتها و تطورها.

ثالثا: مفاهيم أساسية لدراسة تاريخ الفكر الاقتصادي

حتى تتمكن من فهم الإطار النظري لتاريخ الفكر الاقتصادي لا بد من توضيح ارتباطه و علاقته ببعض المفاهيم الأخرى:

– الفكر الاقتصادي و النظام الاقتصادي: يرتبط النظام الاقتصادي بمفهوم المشكلة الاقتصادية، حيث نشأت الرأسمالية من مفهوم المشكلة الاقتصادية بكونها عدم كفاية قدرة الناس على إشباع حاجاتهم المادية و نشأت الاشتراكية من خلال رؤيتهم للمشكلة الاقتصادية على أنها: مشكلة توزيع للموارد.

بينما منشأ المشكلة الاقتصادية في الفكر الاقتصادي الإسلامي هو العدل و الوسطية في السلوك الإنفاقي سواء في استثمار الموارد أو تخصيصها ، وعليه فالمشكلة الاقتصادية هي مشكلة سلوكية تتصل بسلوك الأفراد إزاء الموارد ندرة و تخصيصا، و هي مشكلة مؤسسية تنجم عن تنصل الدولة عن أداء وظائفها الاقتصادية .

وعليه تختلف النظم الاقتصادية و تتعدد نتيجة تعدد الفهم لطبيعة المشكلة الاقتصادية، و في إطار السعي لحل هذه المشكلة سوف تتعدد وتختلف الطرق والأدوات وبالتالي تعدد واختلاف النظريات في النهاية لتشكل نظم اقتصادية متعددة.

– **تاريخ الفكر الاقتصادي وعلم الاقتصاد:** يعد علم الاقتصاد أحد العلوم الاجتماعية، فقد كان تعريف علم الاقتصاد في بداية نشأته (في أوائل الربع الأخير عبر القرن الثامن عشر ميلادي) على أنه العلم الذي يبحث في إنتاج الثروة و تحقيق الغنى للمجتمع.

وفي تعريف آخر يعتبره هو العلم الذي يختص بدراسة القوانين المنظمة للثروة و توزيعها واستهلاكها، كذلك هو العلم المختص بدراسة الرفاهية الاقتصادية و يعرفه بول سامو يلسون على أنه دراسة كيف يمكن للمجتمعات أن تستخدم مواردها النادرة لإنتاج سلع قيمة وتوزيعها بين مختلف الناس.

وعلى الرغم من اختلاف تعريفات علم الاقتصاد فإنها ترتكز فقط على الجانب المادي فقط للحياة الإنسانية دون التطرق للجوانب و المتعلقة بالمشكلة الاقتصادية.

و قد ساهمت هذه المذاهب في وضع الدعائم الأساسية لعم الاقتصاد فيما بعد.

– **التاريخ الاقتصادي:** يعنى التاريخ الاقتصادي بدراسة تاريخ النشاطات الاقتصادية كما تجري في الواقع، أي يعنى بتاريخ الحياة الاقتصادية أو بتاريخ الوقائع الاقتصادية، أو بتاريخ الخبرات والتجارب الاقتصادية أو بتاريخ العمليات الاقتصادية كما هي مجسدة عبر الزمن، أو بكلمة مختصرة يدرس التاريخ الاقتصادي تاريخ تعاقب النظم الاقتصادية economissystemes.

و يبدو لكثير من الدارسين أن مفهوم التاريخ الاقتصادي و مفهوم تاريخ الفكر الاقتصادي يحملان نفس المعنى إلا أن ذلك غير صحيح لأن التاريخ الاقتصادي هو وصف للواقع التاريخي للعملية الاقتصادية في حين يعبر تاريخ الفكر الاقتصادي عند تاريخ الصياغات النظرية للقوانين الاقتصادية.

فالتاريخ الاقتصادي و تاريخ الفكر الاقتصادي يمثلان الوجهان النظري والواقعي لنفس العملية الاقتصادية التاريخية ، وعليه فإن التاريخ الاقتصادي هو الأساس المادي لتاريخ الفكر الاقتصادي ولهذا فإن بعض الجامعات الأجنبية تدرس موضوعات التاريخ الاقتصادي، وتاريخ الفكر الاقتصادي تحت مسمى واحد هو تاريخ المذاهب والوقائع الاقتصادية.